Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

شخصيته وسيرته ﷺ : مكارم الرسل والأنبياء جميعًا ، كما تجلت فيه أخلاق القرآن حقًّا ، كما قالت ألصق الناس به ، وأعرفهم بمدخله ومخرجه : أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : « فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن »[1] .

و ـ إنصاف الرأي المخالف :

ومن القيم المعرفية في فقهنا الحضاري إنصاف الرأي المخالف .

ومعنى إنصافه إعطاؤه الحق في الظهور ، والتعبير عن نفسه ، والدفاع عن ذاته ، ما دام صادرًا عن تفكير واجتهاد ، ويمثل وجهة نظر معتبرة ، قريبة كانت أم بعيدة . ولايسوغ الحكم بالإعدام على رأي ، لمجرد أنه يخالفنا ، أو يخالف أكثرنا ، أو يخالف المألوف والموروث ، ويدعو إلى هدم القديم ، وإقامة بناء جديد .

صحيح أننا بعد الإسلام أصبحنا ملتزمين بعقائده وقيمه وشرائعه ، ولكنه ـ مع هذا ـ ترك لنا مساحات رحبة ، نتحرك فيها يمنة ويسرة ، ونشرّق في رحابها ونغرّب ، سواء فيما لا نصّ فيه أصلاً ، وهو ما سمي (منطقة العفو) ، أم ما فيه نصوص على قواعد كلية ، ومبادئ عامة ، أو ما فيه نصوص جزئية ظنية الثبوت أو الدلالة ، أو ظنيتهما معًا . وفي هذا كله تتعدد الاجتهادات ، وتختلف الأفهام والتفسيرات ، وتتغير المواقف بتغير المؤثرات .

وهنا لا يجوز لأحد أن يزعم لرأيه العصمة ، ولا لمذهبه الكمال ، فكل أحد يؤخذ منه ويرد عليه ، خلا المعصوم ﷺ ، وكل مجتهد قابل لأن يخطئ وأن يصيب ، وأقصى ما يقوله عن نفسه ، ما يروى عن الإمام الشافعي : رأيي صواب يحتمل الخطأ ، ورأى غيري خطأ يحتمل الصواب .

ومزية الإسلام الفريدة هنا هي تزكية الاجتهاد ، واستفراغ الوسع في طلب الحقيقة ، وإعلان مثوبة المجتهد المخطئ ! وهذا ما صح به الحديث المشهور . «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر » .

وقد استبعد بعض شراح الحديث أن يؤجر المخطئ ، وقال : إن المقصود أنه معذور لا مأجورا! وهذا تعسف ظاهر في فهم الحديث ، فهو صريح في أن له أجرًا ، بدليل مقابلته بالمصيب الذي له أجران .

---

(١) رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين ـ برقم (٧٤٦) .